غش البضائع

اشرنا غير مرة الى سخافة البضائع التي يجلبها تجارنا من اوربا ويتاجرون بها في الاقطار الشرقية ولاسيما ما كان منها من نوع المنسوجات . فان المنسوجات الوطنية التي تنسج من غزل وطني تبقى الزمان ولا تفنى . وحتى الآن نجد في المدافن المصرية القديمة منسوجات نسجت منذ ثلاثة آلاف سنة او اربعة آلاف سنة او اكثر وهي لم تبلَ بعد لا تزال امتن من المنسوجات التي يتاجر بها تجارنا اليوم . والذين يحفظون في بيوتهم اكسية قديمة مما كانت تلبسهُ جداتهم من نسج القطر المصري او الشامي او الحلبي او البغدادي اذا قابلوا بينها وبين المنسوجات التي ترد الآن من اوربا او المنسوجات البلدية المنسوجة من غزل اوربي وجدوا بين الاثنين فرقًا كبيرًا في المتانة وثبوت الالوان . واسباب ذلك معلومة وهي ان المنسوجات الاوربية تقصر وتصبغ بمواد كيماوية تعرضها للبلى البكر حتى ان بعضها يبلى من تنسيق ولو لم يلبس او هي محوكة من ادنى انواع القطن والكتان والصوف والحرير وما اشبه . وقس على ذلك اكثر المصنوعات الاوربية التي يتاجر بها في الاقطار الشرقية كالاقمشة والسكاكين والامتعة البيتية فانها تصنع من مواد سخيفة ولا يعتنى بعملها حتى تكون متينة

وقد كنا نظن ان هذا الحكم يُطلَق على البضائع الاوربيَّة التي تُستعمل في اوربا نفسها كما يطلق على البضائع التي يجلبها تجارنا منها لكننا رأينا بالاختبار ان الامر على غير ذلك فاننا في سفراتنا الى اوربا اننا اشترينا بعض البضائع منها من الثياب والاحذية ونحوها فوجدنا ان منسوجات فرنسا والكتانيا الحريرية لا تبلى ولو كانت مصبوغة بالصباغ الاسود الذي يبلي الحرير عادةً . وعندنا منها الآن ثياب مضى عليها خمس عشرة سنة ولا تزال على جدتها وهذا شان منسوجات انكلترا وسويسرا الصوفية والكتانية التي اشتريناها منهما فاننا وجدناها تقيم بضع سنوات ولا تبلى ولا يظهر عليها انها عتقت كثيرًا مع ان ما كان شبيهًا بها من المنسوجات التي نشتريها من القاهرة لا يقيم سنة

وقس على ذلك الاجربة والاحذية وما اشبه من المصنوعات الجلدية والمعدنية فان ما يصنع منها في اوربا لاهالي اوربا يكون امتن واجود مما يُتَّجر به في هذه البلاد كأنَّ التجار يرضون على البضاعة السوقية السخيفة عن قصد لكي تتلف سريعًا او لا يشترون الا بالاسعار الرخيصة فيضطر اصحاب المعامل ان يصنعوا لهم بضاعة سخيفة توافق الثمن الذي يشترون به

وقد اشترى القطر المصري في العام الماضي من المنسوجات القطنيَّة والكتانية والصوفية

والثياب والبسط ونحوها ما ثمنهُ ستة ملايين ونصف من الجنيهات وفي العام الذي قبلهُ ما ثمنهُ سبعة ملايين من الجنيهات هذا عدا المصنوعات الخشبية والجلدية والمعدنية والاشربة الروحية وثمنها خمسة ملايين من الجنيهات . أضف الى ذلك ان اكثر دقيق الحنطة الذي يرد الى القطر مغشوش بدقيق البطاطس ان لم يكن مغشوشاً بغيره . فهذه اثنا عشر مليوناً من الجنيهات يدفعها القطر المصري سنوياً ثمن بضاعة اكثرها مغشوش لا يستعملها اهالي اوربا انفسهم بل تصنع للامم المنحطة التي تطلب الرخيص الموزق مهما كان نوعهُ واطئاً . ولا نبالغ اذا قلنا ان خسارة القطر السنوية من ابتياع هذه البضائع لا تقل عن خمسة ملايين او ستة ملايين من الجنيهات . وعلاج هذا الداء عسير ولكنهُ ليس من المستحيلات وهو يقوم بامور كثيرة

اولها تشجيع الصناعة الوطنيَّة بكل واسطة ممكنة . ولا نعني بالصناعة الوطنية الاقتصار على خياطة الثياب من النسوجات الاوربية وعلى عمل الاحذية من الجلود الاوربية ونسج المنسوجات من المغزولات الاوربية بل استعمال المواد الاصليَّة الوطنية او التي يمكن جلبها من البلدان المجاورة وهي في حالتها الاصلية قبلما يدخلها الغش فالقطن موجود في البلاد وكذلك الصوف والكتان . والحرير يمكن جلبهُ صحيحاً نقيًّا من بلاد الشام فاذا نسجت المنسوجات من هذه المواد الاصلية قبلما يدخلها الغش فالثوب الذي يبلى في نصف سنة اذا كان من نسج اوربي مما يجلبهُ التجار عادة لا يبلى في خمس سنوات اذا كان من نسج وطني خالٍ من الغش . والجلود موجودة في هذه البلاد وفي بلاد السودان والحبشة وترسل منها الى اوربا فاذا دبغت هنا وصنعت منها الاحذية صنعاً متقناً لم تبلَ سريعاً كالاحذية التي تصنع من جلود اكثرها صناعي او مصبوغ بصبغ يبليها

وليس عندنا معادن لتصنع الادوات المعدنية منها ولا سبيل للغش في المعادن الاصلية ولكن الغش الكثير يقع في ما يصنع منها فان المصنوعات السخيفة او التي لا تكون اجزاؤها على تمام الاحكام لا تقيم مثل المصنوعات المتينة المحكمة

اما تشجيع المصنوعات الوطنية فيكون باعفائها من الرسوم وبفرض استعمالها في كل المصالح والدوائر الاميريَّة فيكون منها ثياب الجنود ورجال البوليس ومستخدمي سكة الحديد والبوسطة وتفرش منها دواوين الحكومة واذا اريد استعمال المصنوعات في دوائر الحكومة كالموائد والكراسي والاقفال ووجد الوطني منها وجب تفضيلهُ على الاجنبي بشرط ان يكون متقناً مثل الاجنبي ومتينًا مثلهُ على الاقل

ومتى جرت الحكومة هذا المجرى في تنشيط المصنوعات الوطنية . اقتدت بها الدوائر

والمعامل الكبيرة التي تستخدم عدداً كبيراً من العمال وزادت رغبة الناس فيها

ثانيها الاكثار من الكلام على هذا الموضوع واظهار الفرق الكبير بين المصنوعات الوطنية والاجنبية من حيث الجودة والفرق بين الجيد وغير الجيد من المصنوعات الاجنبية حتى يصير جمهور الناس يميز الفرق بينهما ويشتري الجيد ويرفض ما سواه

وثالثها ترقية آداب التجار بالتعليم والتهذيب حتى لا يبيعوا الا البضائع الجيدة الخالية من الغش سواء كانت وطنية او اجنبية حاسبين ذلك واجباً وطنياً لتقتضيه الذمة منهم. فان آداب بعض التجار قد انحطت الى درجة تفوق الوصف فتراهم يبيعون القطن حريراً والخاتن ذهباً وزيت القطن زيت زيتون والزبدة الصناعية زبدة طبيعية ولا يصعب عليهم ان يزوجوا الصابون بنصفه تراباً واللبن بنصفه ماء

وما قلناه عن الديار المصرية يقال عن سائر ولايات السلطنة العثمانية فان قيمة الواردات اليها في السنة من المنزولات والمنسوجات الاوربية نحو عشرة ملايين من الجنيهات واذا كان الغش جارياً في كل جمارکها كما كان في جمرك بيروت فلا نقل قيمة هذه البضائع عن خمسة عشر مليوناً من الجنيهات وقيمة الواردات من سائر المصنوعات قد لا تقل عن ذلك فكم تفتقد البلاد العثمانية اذا شاعت صناعتها الوطنية واعتمدت عليها لا سيما وان فيها جميع المواد الاصلية كالحرير والصوف والقطن والجلد والمعادن على انواعها والفحم الحجري والبترول والاسفلت وما اشبه ولهذا تجلب من البلاد الانكليزية كل سنة ما ثمنهُ احد عشر مليوناً من الجنيهات ولا ترسل اليها الا ما ثمنهُ نحو ستة ملايين من الجنيهات وتجلب من بلاد النمسا ما ثمنهُ ستة ملايين ونصف مليون من جنيهات ولا ترسل اليها الا ما ثمنهُ مليونان من الجنيهات وتجلب من روسيا ما ثمنهُ مليونان من الجنيهات ولا ترسل اليها الا ما ثمنهُ نصف مليون وتجلب من ايطاليا ما ثمنهُ مليونان ونصف مليون وترسل اليها ما ثمنهُ اقل من مليون . هذا امر يجب تدبرهُ ولا يحسن ان يوكل الاهتمام بهِ الى الحكومة لان لديها مشاغل كثيرة بل يجب على الامة ان تتدبرهُ وتسعى في اتقان الصناعة الوطنية وترويجها بكل جهدها

وخلاصة المقال ان البضائع التي يجلبها تجارنا من اوربا مخفية ضعيفة مغشوشة لا كالبضائع التي تشتمل في اوربا نفسها وخسارة الممالك العثمانية بذلك كبيرة جداً تقدر بملايين كثيرة من الجنيهات وتقوم مداواة هذه العلة بتنشيط المصنوعات الوطنية وتعليم الناس التمييز بين الجيد وغير الجيد من المصنوعات والصحيح والمغشوش من البضائع . وترقية آداب التجار بالتعليم والتهذيب حتى لا يبيعوا الا البضائع الجيدة الخالية من الغش وطنية كانت او اجنبية